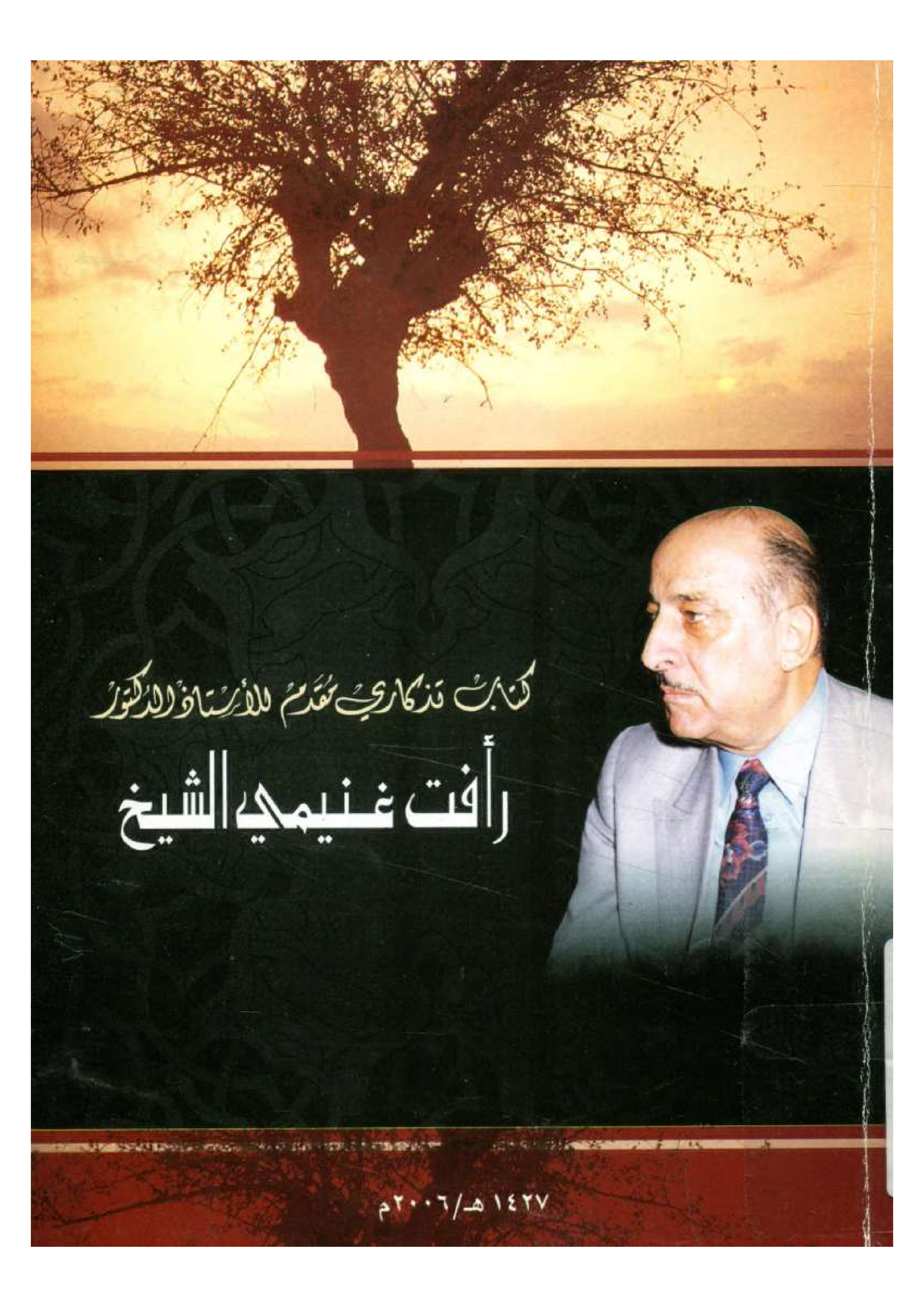

كتاب تذكاري مقدم للأستاذ الدكتور
رأفت غنيمي الشيخ
١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

مقدمة

يشرفني أن أشارك في هذا الكتاب التذكاري عن أستاذي الجليل الدكتور رأفت غنيمي الشيخ مع هذه النخبة اطيبة من تلاميذه الكرام، وهو أحد أعلام التاريخ الحديث والمعاصر وصاحب مدرسة كبيرة في هذا التخصص تضم العديد من التلامي على مستوى العالم العربي.

وإذ أقدم مشاركتي المتواضعة بعنوان «مدينة الزقازيق عاصمة الشرقية»، التي تحمل في مضمونها المعاني الكبيرة لأنها تتناول تاريخ المدينة التي شهدت نشأة ونشاط أستاذي الجليل، كمقدمة لمشروع كتاب كبير كنا قد تناولنا الحديث عنه أنا وأستاذي في أحد الأيام، ولم أجد أطيب من هذه المناسبة لتكون هذه الكلمات ضمن الموضوعات التي يحتويها هذا الكتاب، لأن مدينة الزقازيق تحمل الكثير والكثير من المعاني والذكريات للأستاذ الدكتور رأفت الشيخ الذي يعد ضمن أبرز معالم جامعة الزقازيق وبالتالي مدينة الزقازيق عاصمة محافظة الشرقية.

مع خالص الشكر والتقدير

د. عبدالحكيم عامر الطحاوي

مدينة الزقازيق - عاصمة الشرقية
«دراسة تاريخية»

إذا كانت جمهورية مصر العربية تتمتع بموقع فريد بين دول العالم حيث تربط بين قارات أفريقيا وآسيا وأوروبا مما جعل منها محط أنظار الاستراتيجية العالمية قديماً وحديثاً، وشكلت من هذا الموقع واحدة من أعظم

الحضارات التي ظهرت عبر تارخ البشرية، فإن أرض محافظة الشرقية وبعاصمتها مدينة الزقازيق ظلت المدخل الرئيسي لذلك الموقع الفريد بين دول العالم.

ومن هنا نالت مدينة الزقازيق عاصمة محافظة الشرقية القدر الكبير من الأهمية بين عواصم المحافظات المصرية لما تتميز به من موقع متوسط أدى بها لأن تكون عاصمة لمحافظات شرق الدلتا بالكامل وليس لمحافظة الشرقية فقط.

فمدينة الزقازيق نقطة التقاء ووصل بين مدينة المنصورة عاصمة محافظة الدقهلية غرباً والإسماعلية شرقاً وبين دمياط وبور سعيد شمالاً ومدينة بنها عاصمة محافظة القليوبية جنوباً وصولاً إلى مدينة القاهرة عاصمة مصرنا الحبيبة التي تبعد عن مدينة الزقازيق بحوالي ٨٠ كيلومتراً.

ومدينة الزقازيق عاصمة لثاني محافظة من محافظات الجمهورية من حيث المساحة، والتي تضم الكثير من المراكز ولامدن المهمة بداية م مدينة بلبيس العاصمة السابقة للشرقية، والعاشر م رمضان والصالحية الجديدة أحدث مدن المحافظة مروراً بمدن ومراكز منيا القمح وأبوحماد وديرب نجم وههيا وأبوكبير وكفر صقر وحتى فاقوس والحسينية وغيرها، بما تضم من قرى ووحدات محلية حول مدينة الزقازيق العاصمة التي يرفرف عليها علم محافظة الشرقية الأخضر الذي يتوسطه الحصان العربي الأبيض أهم ما تشتهر به محافظة الشرقية.

أما نشأة مدينة الزقازيق تلك المدينة المهمة على هذا النحو، فقد ورد أول ذكر لموقعها في خرائط الحملة الفرنسية تحت اسم «كفر زجري»، ولعله كان تحريفاً لاسم المكان الذي يقطن فيه وأسرته الشيخ زقزوق على بحر مويس أحد فروع مياه نهر النيل والذي عرف بكفر الزقازيق.

وعندما تولى محمد علي باشا حكم مصر عام ١٨٠٥م وبدأ في بناء مصر الحديثة، كان مما فعله للسير نحو الاهتمام بالشؤون الداخلية، أن قام في

عام ١٨١٣م بمسح شامل للأراضي الزراعية المصرية، وأمر بتقسيم البلاد إلى سبع مناطق «مديريات» كان من بينها مديرية الشرقية وكانت مدينة بلبيس عاصمة لها، ثم أخذ يطبق سياسة الاهتمام بوسائل الري لزيادة الرقعة الزراعية في مصر فأمر بحفر الترع وإنشاء القناطر لتوزيع المياه لتوفير الري الدائم.

وكان مما أمر به عام ١٢٧م كما يذكر علي مبارك في الخطط التوفيقية إنشاء قناطر على بحر مويس ووقع الاختيار على مكان جنوب كفر الزقازيق بحوالي ٤٠٠ متر لإنشاء القناطر لتوزيع المياه في مديرية الشرقية، وعندما بدأ البناء كانت أسرة زقزوق تورد العمالة اللازمة له وتقيم لهم أماكن للسكن وفد إليها الباعة، وما أن تم الانتهاء من إنشاء القناطر عام ١٨٣٢م حتى اتسعت هذه المساحة وسميت نزلة الزقازيق، وكان من الضروري على رجال هندسة الري أن يطلقوا على القناطر اسماً في كشوفهم فأطلقوا عليها اسم قناطر الزقازيق.

وعندما جاء محمد علي باشا لافتتاح هذه القناطر قدم رجال الهندسة إليه الشيخ إبراهيم زقزوق ككبير للعمال الذين أنشأوا تلك القناطر، وأخبره مهندسو الري بأنهم أطلقوا عليها اسم قناطر الزقازيق، فما كان من محمد علي إلا أن أبدى ارتياحه وقال لهم «فلتن الزقازيق على بركة الله».

إذن ارتبطت نشأة مدينة الزقازيق بتلك الواقعة عام ١٨٣٢م، حيث بدأ اسمها يتردد وأخذ في الظهور وتصادف أن طلب مهندسو الري نقل ديوان هندسة الري من مدينة بلبيس عاصمة الشرقية إلى الزقازيق بجوار القناطر الجديدة، فلقي ذلك الطلب قبولاً لدى محمد علي باشا الذي وجد في موقع الزقازيق أقرب إلى وسط المديرية من بلبيس، فاتخذ قراره عام ١٨٣٣م بنقل هندسة الري إلى الزقازيق، والذي تبعه بقرار آخر بنقل ديوان المديرية من بلبيس إلى الزقازيق، وفي عام ١٨٣٦من أمر بإنشاء أول ديوان لأعمال موظفي المديرية والمصالح الحكومية، والذي ضم ديوان هندسة الري وديوان

الصحة وديوان المجلس المحلي ومجلس الدعاوي ومجلس المشيخة ومجلس التنظيم ومدرسة ابتدائية ومحكمة شرعية وحلقة لبيع القطن، بالإضافة إلى المسجد الكبير الذي كان قد بناه أثناء إنشاء القناطر فأصبحت منذ ذلك الوقت الزقازيق مدينة وعاصمة لمديرية الشرقية زادت مساحتها نتيجة لتردد أصحاب المصالح عليها حيث بدأ يقيم فيها بجوار المصالح الحكومية أصحاب الحرف والصناعات والتجار وأخذت تؤدي رسالتها كعاصمة لأحد أهم الأقاليم المصرية.

ولقد شهدت مدينة الزقازيق مع متصف القرن التاسع عشر الميلادي الكثير من التطور العمراني في عهد خلفاء محمد علي باشا، وهو الأمر الذي انعكس على أهمية الدور التاريخي الذي قامت به خلال الأحداث المهمة التي شهدتها مصر في تلك الفترة، فقد زادت مساحة المدينة حول بحر مويس وتعددت أحياؤها، بعدما كانت تشتمل على أحياء أخرى جاءت مع النقلة الكبرى التي طرأت على مدينة الزقازيق في عام ١٨٦٠م، عندما تم توصيل خط السكة الحديد الرئيسي الواصل بين القاهرة ومدينة الإسكندرية إلى الزقازيق، فكانت أول مدينة فرعية تصلها خطوط السكة الحديدية بعد العاصمة والميناء الرئيسي للدولة، مما أدى إلى زيادة أهمية مدينة الزقازيق وتوسعها العمراني خاصة وأن هذا الخط تبعه تفريع عدة خطوط كانت الزقازيق مركزاً لها، حيث تم توصيلها بمدينتي المنصورة وبلبيس عام ١٨٦٥م ثم بمدينة الإسماعيلية حيث كان حفر قناة السويس على أشده، الأمر الذي جعل من مدينة الزقازيق مركز تجميع للمواصلات ليس للدلتا فحسب بل من وسط وغرب الدلتا، ليذهب العمال إلى حفر القناة التي افتتحت في عام ١٨٦٩م، حيث كانت الأهمية الجديدة لمدينة الزقازيق في ربط مدن القناة بالدلتا والقاهرة، فانعكس الأمر على ازدياد العمران والسكان فنشأت كتلة سكنية جديدة حول تفريعات المواصلات المجاورة للأحياء الأخرى على بحر مويس، ونشأت أحياء النظام والإشارة والصيادين وكفر الزقازيق القبلي

ويوسف بك وغيرها.

وفي تلك الفترة كانت مصر تشهد أحداثاً مهمة في أعقاب افتتاح قناة السويس، فإذا كانت الزقازيق مركزاً لتجميع العمال الذين يذهبون لحفر قناة السويس فإن افتتاح القناة وازدياد أهميتها ونشأة المدن وازدهارها على ضفتيها مثل بورسعيد والإسماعيلية انعكس على زيادة أهمية مدينة الزقازيق أيضاً، ومن ثم عندما زادت أهمية القناة بالنسبة للدول الأوروبية خاصة انجلترا وفرنسا دار بينها الصراع لامتلاك أسهم القناة، وهو الأمر الذي أدى في النهاية إلى زيادة التدخل البريطاني في شؤون مصر، فقد قدر لمدينة الزقازيق أن تشارك في هذه الأحداث للدفاع عن مصر، عبر أحد أبنائها الذي نشأ وتعلم فيها وهو الزعيم الوطني أحمد عرابي، الذي ولد عام ١٨٤١م بمنطقة هرية رزنة إحدى القرى المجاورة للزقازيق، والآن هي ضمن أحيائها، حيث كان قد تلقى تعليمه الأولي في الكتاتيب ثم انتقل إلى المدرسة بمدينة الزقازيق قبل أن يرحل إلى الأزهر الشريف.

وفي القاهرة انضم إلى صفوف الجيش ووصل به الأمر إلى قيادة الحركة الوطنية ليكون الزعيم الوطني الأول في التاريخ المصري الحديث والمعاصر، من خلال قيادته لتلك الحركة الوطنية وتقديمه للمطالب الشهيرة التي قدمها اللخديوي توفيق في يوم ٩ سبتمبر عام ١٨٨١م، والتي كان رفض الخديوي لها بداية ثورة ضد الوجود الأجنبي انطلقت مع قول عرابي: «لقد خلقنا الله أحراراً ولن نورث بعد اليوم»، تلك الثورة التي نجحت في تحقيق أهدافها وغيرت الوزارة المصرية عندما تم عزل رياض باشا، وتولي شريف باشا الذي أيده زعماء الثورة، وكان ذلك بداية السير على طريق الديموقراطية بإجراء انتخابات ١١ نوفمبر ١٨٨١م والتي أعقبها قيام الخديوي توفيق بافتتاح مجلس الشورى المصري لأول مرة في٢٦ ديسمبر ١٨٨١م.

وفي مطلع عام ١٨٨٢م عين أحمد عرابي وكيلاً لوزارة الحربية، فكان إشراكه

في مسـؤوليـة الحكم بداية مـرحلة جـديدة لـه وصلت به إلى منصب وزير الحربيـة، كأول مواطن مصري الأصول يصل إلى هـذا المنصب، ضمن الوزارة التي ألفـهـا محـمـود سمي البـارودي والتي كانت انتـصـاراً للثورة ضـد سلطة الخـديوي والدول الأوروبيـة، فكان لابد مـن التـصـادم بين الثـورة والدول الأوروبية، ويهـمنا منه أن ابن الزقازيق أحـمـد عـرابي أصبح الزعـيم الوطني الذي يتـمـتع بالتـأييد الكامل من كل طوائف الشـعب المصـري، الذي يتـذكـر كلماته التي قالها إلى جلادستون «إن مبدأ مصر للمصريين هو الشعور الذي أود أن أسلم به»، تطلع المصريون إلى أحمد عـرابي كحامي للديار المصرية، ووقفوا خلفـه، وشارك أهل بلدته الزقـازيق بالثورة ضد الأجانب الموجودين بالمدينة، وكمـا ذكـر الرافعي قـامـوا بقتل أعـداد كثيرة منهم رداً على ضـرية الإسكندرية، ولعل عـربـي ظل يدافع عن الأراضـي المصرية في ظل التحـالف الأجنبي ضده الذي انتهى بالاحتلال البريطاني وذلك موضوع آخر، وكان من نتيجة نفي عـرابي خـارج مصـر لتقع مدينة الزقـازيق كبقـيـة القطر المصـري تحت وطأة الاحتلال منذ عام ١٨٨٢م.

ولقد أطل القرن الشعـرين على مدينة الزقازيق وقـد أخذت أهميتها تبرز مع زيادة الاهتمـام بمنطقـة قناة السويس، فبدأت المصـالح الحكوميـة تزداد في المدينة مع إنشـاء العـديد من المصـانـع، فـأصبحت الحاجة ملحة إلى حدوث النقلة الجديدة لمدينـة الزقازيق مع دخول المرافق إليها مثل مرفق المياه عام ١٩٠٧م، والذي تبعه العديد من الإنشاءات حتى كان إدخال الكهرباء للزقازيق عـام ١٩٢٢م العلامـة البـارزة لتطور المدينة توسعـهـا في جمـيع الاتجـاهات، لتتكون من ثمانية شياخات هـي أحياء النحال والحريري وحسن صالح وكفر الزقـازيق البحـري وكفـر عبدالعزيز والحسينيـة ومنشـأة أباظة، ويزداد عـدد السكان والمصـانع والمصالح الحكومية في ظل ربط المدينة بطرق المواصـلات المرصوفة عام ١٩٣٦م مما زاد من مساحة وأهمية مدينة الزقازيق.

ولقـد شهـدت مـدينـة الزقـازيق مـع بداية منتصف القرن العشـرين مع قيـام

الثورة المصرية عام ١٩٥٢م أكبر مراحل النمو، وبعدما كان سكانها لا يزيدون على مائة وخمسة وعشرون ألفاً عام ١٩٦٠م، بدأت الزقازيق في أعقاب ذلك زيادة كبيرة في النمو العمراني والنمو السكاني لتصل إلى أضعاف ما كانت عليه منذ نشأتها وحتى ذلك العام ١٩٦٠م، الذي يعتبر من الأعوام الفاصلة في تاريخ الزقازيق حيث تحولت المديرية إلى محافظة وأصبحت عاصمة لمحافظة الشرقية، ويرفرف عليها علم الشرقية الأخضر الذي يتوسطه الحصان العربي الأصيل نسبة إلى شهرة أهل الشرقية بتربية الخيول العربية الأصيلة، ومن بينهم قبيلة عرب الطحاوية التي تنتشر في مدن وقرى مراكز بلبيس وأبوحماد وأبوكبير وكفر صقر وفاقوس والحسينية وجزيرة سعود.

ومنذ ذلك الوقت زادت مساحة مدينة الزقازيق إلى أكثر من خمسة أمثال ما كانت عليه مما أدى إلى وصول حدود المدينة إلى الأماكن المحيطة بها مثل تل بسطه المدينة الأثرية لتكون ضمن أحياء مدينة الزقازيق، التي تم وضع تقسيم جديد لها في عام ١٩٧٠م لتضم قسمين إداريين هما قسم أول: ويضم شياخات أو أحياء هي النحال والحسينية ومنشأة أباظة والحريري والمنتزه والنظام ومعوض وكلها جنوب بحر مويس، أما القسم الثاني: فيضم شياخات أو أحياء الإشارة وكفر عبدالعزيز والصيادين وكفر الزقازيق البحري والقبلي ويوسف بك وحسن صالح والحكماء والجامع وكلها تقع إلى الشمال من بحر مويس، ولعل ذلك التطور الهائل الذي طرأ على مدينة الزقازيق في الثلث الأخير من القرن العشرين إنما يرجع إلى عدة عوامل رئيسية من بينها:

١- إنشاء العديد من المصانع على مساحات واسعة في أطراف المدينة مثل مصانع الغزل والنسيج والمطاحن.

٢- ظهور المنشآت الحكومية التي بدأت في أعقاب إنشاء مبنى المحافظة الجديدة عام ١٩٦٠م، والذي تبعه إنشاء مجمع المصالح الحكومية ثم المديريات والأندية والساحات وغيرها من المنشآت الهامة.

٣- إنشاء جامعة الزقازيق بالقرار رقم ١٨ لسنة ١٩٧٤م، والتي بدأت بكليات الزراعة والتجارة والطب البيطري والتربية والعلوم والطب البشري ثم الآداب، والحقوق والصيدلة عام ١٩٧٥م، حتى شملت الآن جميع التخصصات التي تغطي مراحل التعليم المختلفة، بالإضافة إلى فروع جامعة الأزهر بمدينة الزقازيق، مما أدى إلى إنشاء المدن الجامعية ومستشفى الطلبة ومساكن للعاملين بالجامعة، وغير ذلك من الأمور التي أدت إلى زيادة التوسع العمراني لمدينة الزقازيق.

٤- إنشاء المناطق السياحية بمدينة الزقازيق خاصة تلك التي أقيمت بمدينة تل بسطه، حيث المتحف الذي يحكي تاريخ تلك المدينة الأثرية الفرعونية، ومتحف هرية رزنة الذي يحكي تاريخ الشرقية في العصر الحديث من مواقف عرابي إلى طلعت حرب إلى العدوان الإسرائيلي على أطفال مدرسة بحر البقر الابتدائية بالشرقية.

كل هذه العوامل وصلت بمدينة الزقازيق لأن تكون أكبر مدن شرق الدلتا من حيث المساحة والكسان الذين اقتربوا من مليون نسمة حسب تعداد عام ٢٠٠٠م.

تلك في عجالة مدينة الزقازيق التي أنشأها محمد علي باشا واتخذها عاصمة للشرقية ولعبت دورها من خلال أبنائها ومواقفهم الوطنية ضمن تاريخ مصر الحديث والمعاصر، بداية من مواجهة الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢م وحتى كانت أحد الخطوط الأمامية خلال نصر العاشر من رمضان السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م، ومازالت تؤدي رسالتها ضمن أبرز المدن في النهضة المصرية المعاصرة بقيادة الرئيس حسني مبارك.

المصادر

أ) العربية :

- محفوظات قصر عابدين، المحفظة رقم ٢٨ وغيرها.

- الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء.
- مركز المعلومات بالمحافظة: الشرقية في أرض التاريخ.
- أحمد عرابي: مذكراته.
- عبدالرحمن الرافعي: عصر محمد علي.
- د. عبدالعزيز الشناوي: السخرة في حفر قناة السويس.
- د. عبدالفتاح حزين: الإقليم الخاص.
- علي مبارك: الخطط التوفيقية.
- محمد أمين حسونة: مصر والطرق الحديدية.
- محمد رمزي: القاموس الجغرافي.
- نوال فؤاد حامد: محافظة الشرقية، دراسة في جغرافية الريف.

ب) الأجنبية :

- F.O.: 141/110-1977.
- F.O.: 78/3321-1881.
- F.O.: 146/2410-1882.
- F.O.: 141/166-1887.
- Blunt, W.: Secret isotry.
- Cromer: The Earl of Modern Egypt.
- Malet, E.: Egypt 1879-1883.